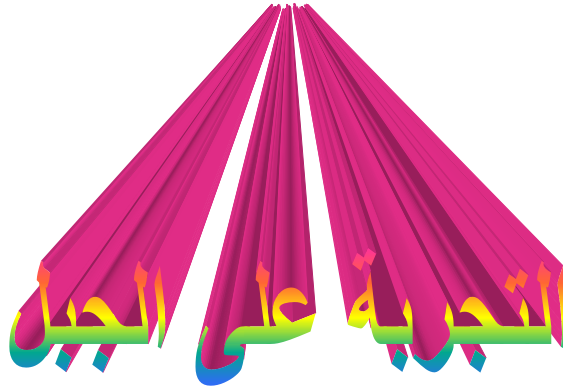


البابا شنوده الثالث



The Temptation on the mountain
By H. H. Pope shenouda III

اسم الكتاب: التجربة على الجبل .

اسم المؤلف: البابا شنودة الثالث .

الناشر: الكلية الإكليريكية الأقباط الأرثوذكس .

الطبعة: الأولى - سنة ١٩٩٥ م .

المطبعة: الأنبا مرويس (الأوفست) - العباسية - القاهرة .

مرقم الإيداع بدار الكتب: ٩٥/٤٦٤٧

I. S. B. ٩٧٧ - ٥٣٤٥ - ٢٧-٨

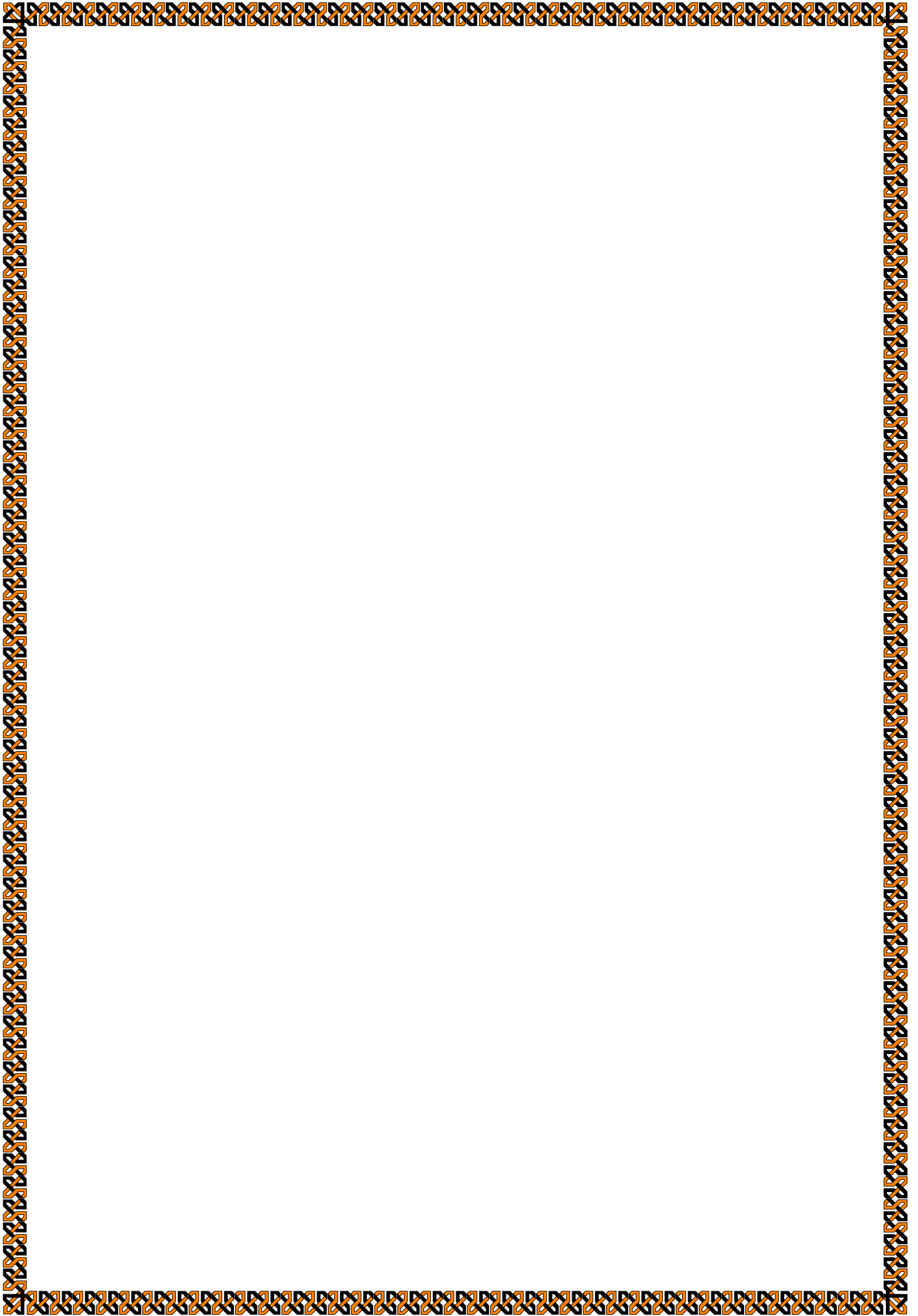
مقدمة الكتاب

في كل عام ، في بداية الصوم الكبير ، كانت الكنيسة تقرأ فصل الإنجيل عن التجربة (مت ٢٤، ١مر ١، لو ٤) وكنا نلقى عظات عن التجارب بصفة عامة ، وعن تجربة السيد المسيح على الجبل ، في تفاصيلها .

ومن مجموعة تلك العظات ، اخترنا لك منها المحاضرات التي ننشرها في هذا الكتاب .
وقد سبق لنا نشر بعض منها في مجلة الكرازة ، وفي جريدة وطني . ثم قمنا بجمع كل تلك المقالات ، وأضفنا إليها ما يمكن إضافته ، وأعدنا تنظيمها لكي تخرج بهذه الصورة .
وهي تشرح عدة أمور منها :

- ١- لماذا يسمح الله بالتجارب لجميع الناس ، حتى لقديسيه ؟
 - ٢- ما فائدة هذه التجارب ، للمؤمن الذي يمكنه أن يأخذ منها فوائد روحية كثيرة لحياته .
 - ٣- ما كنه تجربة السيد المسيح على الجبل ؟
 - وما هو الهدف الشيطاني منها ؟ وكيف استطاع السيد المسيح أن ينتصر عليها ؟
 - ٤- وما علاقة تلك التجارب بقضية الصليب والفداء ، وبمبادئ الخدمة التي وضعها السيد الرب أمامه ؟
- عن هذا وغيره يحدثك هذا الكتاب .
أبريل سنة ١٩٩٥

البابا شنودة الثالث



الفصل الأول

التجارب و الضيقات

اعتدنا فى الصوم الكبير ، أن نتذكر تجارب المسيح له المجد . وفى الحديث ، يهنا أن نذكر بعض ملاحظات هامة ، منها :

التجارب للكل

لا تخلو حياة إنسان - أياً كان - من التجارب والضيقات . فهى للكل ، حتى للأنبياء والقديسين ، حتى للسيد المسيح نفسه الذى كان " مجرباً فى كل شئ مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥) ولم تكن تجاربه على الجبل سوى مثال للتجارب التى شملت حياته كلها . والسيدة العذراء أيضاً كانت حياتها مملوءة بالتجارب ، منذ يتمها المبكر ، وحبلها العذراوى الذى شك فيه يوسف أولاً ، ثم اضطرارها للسفر إلى مصر . . والأنبياء جميعاً تعرضوا للضيقات . كم من الضيقات لاقاها داود النبى من شاول الملك ، الذى كان يطارده فى كل مكان لكى يقتله . . ويوسف الصديق تعرض لتجارب عديدة ، من أخوته ، ومن امرأة فوطيفار . بيع كعبد ، وألقى به فى السجن ، وهو رجل بار . ودانيال النبى القى به فى جب الأسود . والثلاثة فتية القديسون ألقوهم فى أتون النار . وبطرس وبولس الرسولا ن ألقى بهما فى السجن . واسطفانوس الشماس رجموه . وما أكثر الضيقات التى تعرض لها الشهداء والمعترفون . .



فلا يظن أحد إذن أن التجارب والضيقات هى للحظة بسبب خطاياهم وإنما هى لجميع الناس

، وبالأكثر للأبرار والقديسين

وقد قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين " فى العالم سيكون لكم ضيق " (يو ١٦ : ٣٣) وقيل أيضاً فى المزمور : " كثيرة هى بلايا الصديق ، ومن جميعها ينجيه الرب " (مز ٣٤ : ١٩) . جميع الأبرار اجتازوا فى بوتقة الألم ، واختبروا الضيقة والتجربة . ولم يستثم الله من ذلك ، بل كانت الامهم أكثر . وهنا نضع أمامنا قاعدة هامة وهى وأن التجارب لا تعنى تخلى الله .

التجارب لا تعنى تخلى الله

إن الله كأب حنون ، لا يتخلى عن أولاده مطلقاً . وسماحه بالتجربة لا يعنى مطلقاً أنه قد تخلى عنهم ، أو أنه قد رفضهم . ولا يعنى أيضاً غضبه أو عدم رضاه . بل هو يسمح بالتجربة لمنفتهم ، ويكون معهم فى التجربة : يعينهم ويقويهم ويحافظ عليهم ، ويسندهم بيمينه الحصينة . لقد سمح مطلقاً أن دانيال النبى يلقى فى جب الأسود . وفى نفس الوقت لم يسمح مطلقاً للأسود أن تؤذيه . بل خرج دانيال سليماً من الجب وهو يعنى قائلاً " إلهى أرسل ملاكه ، وسد أفواه الأسود " (دا ٦ : ٢٢) . وسمح بإلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار ، ولكن " لم تكن للنار قوة على أجسامهم . وشجرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم " (دا ٣ : ٢٧) وكان الرب يتمشى معهم فى أتون النار .

أن الله لا يمنع النار عن أولاده ، ولكنه يمنعها من أن تحرقهم

التجارب تأتي ولا تؤذى

إلهنا الحنون لا يمنع الحوت من أن يبلغ يونان النبی . وفى نفس الوقت لا يسمح له بإيذائه . ويخرج يونان من بطن الحوت سليماً ، لكي يؤدى رسالته . وتحمل قصته لنا درساً ورمزاً . . .
لقد سمح الله لشاول الملك أن يطارد داود . وفى نفس الوقت لم يتخل الله عن داود ، ولم يسمح لشاول بإيذائه .

✠ ✠ ✠

إنه يسمح بالضيقة ، ولكن بشرط أن يقف معنا فيها
وهكذا يغنى المزمور " لولا أن الرب كان معنا ، حين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء عند سخط غضبهم علينا . . . مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم ، نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا " (مز ١٢٤) .

✠ ✠ ✠

إنه اختبار روحى جميل ، أن نرى الله فى التجارب . . . نراه معنا وبقوة . . .
وربما لولا التجارب ما كنا نراه هكذا . . . وهذه هى إحدى فوائد التجارب العديدة . العمق الروحى للتجارب ، هو أنه لا يجوز لنا أن نراها ، بدون أن نرى الله فيها . . .
فالله قد يسمح لقوى الشر أن تقوم علينا وتحميننا ونحن نغنى مع أليشع النبی الذى اجتاز نفس التجربة نقول : " إن الذين معنا أكثر من الذين علينا " (٢ مل ٦ : ١٦) . ويقول الرب لكل واحد منا " لا تخشى من خوف الليل ، ولا من سهم يطير فى النهار . . . يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات . وأما أنت فلا يقتربون إليك " (مز ٩١ : ٥ ، ٧)

✠ ✠ ✠

من أجل هذا كله أقول :

إن المؤمن لا يمكن أن تتعبه التجربة أو الضيقات . . .
ذلك لأنه يؤمن بعمل الله وحفظه . ويؤمن أن الله يهتم به أثناء التجربة ، أكثر من اهتمامه هو بنفسه .
إنه يؤمن بقوة الله الذى يتدخل فى المشكلة . ويؤمن أن حكمة الله لديها حلول كثيرة ، مهما بدت الأمور معقدة . لذلك فالمؤمن لا يفقد سلامه الداخلى مطلقاً أثناء التجربة ، ولا يفقد بشاشته بل يتذكر فى ثقة كبيرة قول الرسول " أحسبوه كل فرح يا أخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢)

✠ ✠ ✠

إن كل تجربة هى بر شك خبرة روحية جديدة يتمتع بها الإنسان ، وتعمق مفاهيمه الروحية . وفيها يرى الله كيف يتدخل وكيف يعمل . . . ويجمل بنا الآن أن نضع ثلاثة شروط للتجارب التى يسمح بها الله

أربعة شروط للتجارب

إنها قواعد أربع ، وضعها لنا الكتاب المقدس في حديثه عن التجارب ، وهي :

- ١- لا يسمح الله بتجربة هي فوق طاقتكم البشرية .
إن الله يعرف احتمال كل واحد منا . ولا يسمح أن تأتيه التجارب إلا في حدود احتمال طاقته البشرية .
وفي ذلك يقول الكتاب " ولكن الله أمين ، الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون " (١ كو ١٠ : ١٣)
ولعلك تقول : ما أصعب التجربة التي وقعت على أيوب الصديق ، في موت كل أولاده ، وضياع كل ثروته ، وفقد صحته ، وتخلي كل أصحابه . من يستطيع أن أيوب كان بإمكانه احتمال التجربة ، ما سمح الله بها له إن القامة الروحية الجبارة التي لأيوب ، كانت تناسب التجربة الهائلة التي وقعت عليه
فقد كان أيوب رجلاً كاملاً ومستقيماً ، وليس مثله في الأرض (أي ٢ : ٣) .

✘ ✘ ✘

لا تخف إذن ، لو كنت في قامة أيوب لأمكن أن يسمح الله لك بتجارب مثل تجارب أيوب . أما وانت في ضعفك ، فإن الله لا يسمح لك إلا بما تقدر على احتماله . هل تخاف أن تحدث لك تجارب مثل التي حدثت للقديس الأنبا أنطونيوس ؟ ! هذا الذي ظهرت له الشياطين بهينة وحوش مفزعة مخيفة ، والذي ضربته الشياطين حتى تركته يوماً بين حي وميت أطمئن . لن يحدث لك هذا ، إلا إذا وصلت إلى الدرجة التي تحتل فيها مثل القديس أنطونيوس ، وتنتصر مثلما أنتصر .

✘ ✘ ✘

الشرط الثاني ومعها المنفذ :

٢- تأتي التجربة ومعها المنفذ :

أي تأتي زمعها الحل . فلا توجد تجربة هي ظلمة حالكة السواد ، بدون أية نافذة من نور . بل هوذا الكتاب يقول عن الله " بل سيجعل مع التجربة المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوا " (١ كو ١٠ : ١٣) .
لهذا ليس هناك داع لأن بيأس أحد في وقت التجربة - فكل تجربة حل ، بل حلول

✘ ✘ ✘

لا تنتظر إلى التجربة في شدتها الحاضرة . إنما أنظر إليها في رجاء يرى الحل الإلهي قادماً ، حتى إن كانت العين البشرية لا تراه الآن ، ولكنها تراه بعين الإيمان التي تعرف تماماً محبة الله وقدرته على الحل . . .

✘ ✘ ✘

إن التجربة تأتي ومعها النعمة ، ومعها المعونة الإلهية ، ومعها الحفظ والحلول . . .

وحتى إن كنت أنت من النوع الذي لا يحتمل ، فالله قادر وقت التجربة أن يهبك احتمالاً وصبراً وعزاء .
وهذا منفذ آخر للتجربة ، تمر منه وتعب ، ولا تستمر ضاغطة . إن التجارب الصعبة القوية ، هي فقط للأقوياء ، أمثال أيوب وأنطونيوس . . . وهي أيضاً للضعفاء الذين يمنحهم الله قوة وقتذاك قوة ما كانوا يتخيلونها في أنفسهم . . . قاعدة أخرى ينبغي أن نضعها أمامنا في التجربة وهي :

✘ ✘ ✘

٣- التجارب التي يسمح بها الله هي للخير ، أو تنتهي بخير .

وفي ذلك قال الرسول " كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) .
ولهذا " أحسبوه كل فرح يا أخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) . هذا الإيمان

بخيرية التجارب ، يعطى الإنسان المجرب سلاماً وهدوءاً واطمئناناً ، فلا تطحنه التجربة ، ولا تضغط عليه ، بل على العكس تمنحه فرحاً .

٤- شروط رابع للتجربة ، وهو أن لها زمناً محدداً تنتهى فيه .

فلا توجد ضيقة دائمة ، تستمر مدى الحياة . ذلك فى كل تجربة تمر بك ، قل " مصيرها تنتهى " سيأتى عليها وقت تعبر فيه بسلام . إنما خلال هذا الوقت ينبغى أن تحتفظ بهدوئك وأعصابك ، فلا تضعف ولا تنهار ، ولا تفقد الثقة فى معونة الله وحفظه .

فوائد التجارب

التجربة شئ نافع بلا شك . ولولا منفعتها ، ما كان الله الشفوق يسمح بها . . .
كثيرون يريدون أن يكون طريق الملكوت سهلاً مفروشاً بالورود ! ولكن هذا عكس التعليم الذى شرحه لنا الإنجيل المقدس ، إذ قال لنا الرب فيه : " ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يودى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه " (٧ : ١٤) .
وقال " فى العالم سيكون لكم ضيق " (يو ١٦ : ٣٣) . وقيل وفى الإنجيل أيضاً " بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤ : ٢٢) .
✠ ✠ ✠

هذه الضيقات نحتملها لكى نثبت أننا جادون فى سيرنا إلى الملكوت ولكى ندخل إلى هذا الملكوت باستحقاق ، لأننا بذلنا وتعينا من أجله . . إن كان التميز يتعب ويكد يحصل على شهادة دراسية . . وإ، كان كل صاحب عمل لابد أن يتعب ، لكى ينجح فى عمله . . هكذا الطريق الروحى : ينبغى أن نتعب فيه لنستحق الملكوت . . وصدق الرسول فى قوله : " كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبته " (١ كو ٣ : ٨) . والتعب قد نبذله بإرادتنا .
✠ ✠ ✠

وهكذا تكون التجارب التى يحتملها المؤمنون من أجل الله والثبات فى محبته . . وقد يكون بعضها فى مصارعة النفس من الداخل . وبعضها فى تحمل الضيقات من الخارج .
وهذا القديس بولس الرسول يقول : " بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله ، فى صبر كثير فى شدائد ، فى ضرورات ، فى ضيقات فى ضربات فى سجون ، فى اضطرابات ، فى أتعاب ، فى أسهار ، فى أصوام " (٢ كو ٦ : ٤ ، ٥) .
ومع ذلك يشرح كيف أنه لم يتضايق - هو وزملاؤه - بشئ من هذا ، ولم يفقدوا سلامهم ، ولم يفقدوا الرجاء بالله ، فيقول : " مكتئبين فى كل شئ . . لكن غير متضايقين ، مضطهدين . . لكن غير متروكين " (٢ كو ٤ : ٨ ، ٩) . " كمائتين وها نحن نحيا ، كحزانى ونحن دائما فرحون . . كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ " (٢ كو ٦ : ٩ ، ١٠) .

فى الضيقات نشعر بالقوى السماوية الكثيرة المحيطة بنا فنتعزى .
منحن لسنا وحدنا مطلقاً فى التجربة . . ولا فى وقت الضيقة ، بل تحيط بنا نعمة الرب ومحبته ، وتحيط بنا قوات الملائكة القديسين التى قال عنها الله أنها تحيط بخائفيه وتنجيهم ، وتحيط بنا أيضاً أرواح القديسين تشجعنا وتقويننا . . إنها خبرة روحية .
✠ ✠ ✠

ومن فوائد الضيقات فى العالم ، أننا لا نتمسك بمحبة هذا العالم مشتاقين إلى السماء .

ولو كان النعيم فى هذه الدنيا ، ما كنا نشتاق إلى النعيم الأبدى ، فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد ، حيث " ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، وما لم يخطر على قلب بشر ، ما أعده الله لمحبي اسمه القدوس " . . . ونحن كما قال الرسول : " غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ، بل إلى التى لا ترى لأن التى ترى وقتية ، أما التى لا ترى فأبدية " (٢ كو ٤ : ١٨)
من أجل ذلك كان الآباء القديسون يشعرون أنهم على الأرض غرباء ، يعيشون مشتاقين إلى الوطن السمائى . . . ينظرون كل حين بالإيمان إلى " المدينة التى لها الأساسات ، التى صانعها و بارنها الله " (عب ١١ : ١٠)

ولولا الضيقات لتشبث الناس بالبقاء فى غربه هذا العالم الزائل لذلك نحن نقول عن الشخص فى يوم وفاته ، أنه قد تنجح أى استراح . استراح من هذا العالم الزائل وكل ما فيه من شهوة الجسد والروح وتعظم المعيشة . . . استراح من التعب الذى يبذله للثياب فى روحياته ، واستراح من الضيقات والشدائد والتجارب التى تختبر إرادته هنا فى هذه الحياة الأرضية ، واستراح مما فى العالم من أمراض ومن تعب للجسد والنفس .

الإنسان الروحى لا يتعب من الضيقات . . . وإنما يأخذ ما فيها من فائدة روحية . . . ويفرح بالأكالييل التى ينالها بإحتمال التجارب . لا تهزه التجربة . . . ويختبر كيف أن الله " يقوده فى موكب نصرته " (٢ كو ١٤ : ١) . إن الإنسان لا يكمل إلا إذا انتصر . . . ولا ينتصر إلا إذا حارب . . . ولا يحارب إلا إذا تعرض لضيقات تمتحن مدى روحانيته : حياته وثبات إرادته تابعة للمشيئة الإلهية .

وفى التجارب يتلامس المؤمن مع محبة الله العاملة فى حياته .

إن الله إذ يرى محبة الإنسان له فى وقت الضيقة ، يكافئه بما يظهره له من حب . . . وكم من قديسين تمتعوا بهذا الحب فى وقت الضيقة .
فالقديس يوحنا الإنجيلى رأى تلك الرؤيا العجيبة وهو منفى فى جزيرة بطمس من أجل الشهادة بكلمة الله (رؤ ١) .

والقديس بطرس اختبر عناية الله به وهو فى السجن أيضاً

والقديس بطرس اختبر عناية الله به وهو فى السجن (أع ١٢) واختبر نفس العناية القديسان بولس وسيلا وهما فى السجن أيضاً (أع ١٦) . ما أجمل عبارات القديس يوحنا ذهبى الفم وهو يتأمل قول القديس بولس عن نفسه " أنا الأسير فى الرب " (أف ٤) حديث جميل عجيب عن الضيقات وبركاتها بودى أن أترجم لكم بعضاً منه وأنشره . . .

✠ ✠ ✠

تحدث التجارب أحياناً بحسد من الشياطين . وبخاصة فى أيام الصوم والتناول والحرارة الروحية
إن كان الإنسان يستعد فى الصوم ، لكى يسلك سلوكاً روحياً ، فإن الشيطان يستعد أيضاً لمقاتلته ومحاربته ، ولكى يسقطه فى الخطية أو فى الفتور . . . أعنى أن الإستعداد هنا متبادل : استعداد من جانب الإنسان للنمو فى محبة الله ، واستعداد من الشيطان لإسقاطه . إن الشيطان يحزن حينما يجد إنساناً يسير فى الطريق الله .

لذلك أن حلت بك التجارب فى فترة الصوم ، لا تحزن . فهذا دليل على أن صومك له مفعوله ،

وقد أزعج الشيطان .

بل إن بعدت عنك التجارب ، يمكن أن تتساءل : لماذا يتركك الشيطان بدون تجارب ؟ ! هل احتقر أو استصغر جهادك الروحى ؟!

أعلموا أن ربنا يسوع يسوع نفسه ، حاربه الشيطان بالتجارب فى صومه الأربعينى وهذا ما سوف نشرحه الآن

الفصل الثاني

التجربة على الحبيل

مقدمة

قبل أن نعرض لتجربة السيد المسيح على الجبل ، يحسن أن نقدم أولاً بعض ملاحظات هامة هي :

أولاً : لم تكن تجربة المسيح هي فقط الثلاث تجارب التي حدثت في أواخر الأربعين يوماً .

وفي هذا يقول معلمنا لوقا الإنجيلي عن السيد أنه " كان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يجرب من إبليس " (لو ٤ : ١ ، ٢) (مر ١ : ١٣) . وهذه التجارب لم تذكر وتسجل ، إلا أنه بعد إتمامها تقدم إليه المجرب بالتجارب الثلاث . وبعد هذه التجارب الثلاث ، لم يتركه الشيطان بلا تجربة ، بل يقول القديس لوقا إنه : " ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه إلى حين " (لو ٤ : ١٣)

وعبارة " إلى حين " تعني أنه عاد إليه مرة أخرى أو مرارة كثيرة ولعل من أمثلتها ، لما تحدث عن صلبه بعد أيام ، تقدم إليه بطرس وانتهره قائلاً : " حاشاك يارب . لا يكون هذا " فأجابه السيد " اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي " (مت ١٦ : ٢١ - ٢٣) . أي أن الشيطان قدم تجربة على لسان تلميذه بطرس . وكانت التجربة أن يبعد عن الصليب . ثم عاد الشيطان ليقدم نفس التجربة وقت الصلب ، ويقول له على لسان اللص الشمال " إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا " (لو ٢٣ : ٣٩) . نفس التجربة على لسان المجتازين " خلك نفسك وانزل عن الصليب ، لنرى ونؤمن ، (مر ١٥ : ٢٠ ، ٢٢) وأيضاً " إن كنت ابن الله : فانزل عن الصليب . فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به " (مت ٢٦ : ٤٠ ، ٤٢) . حقاً ، إن النزول عن الصليب هو شهوة الشيطان ، وإن كان هذا المصلوب هو ابن الله . والتجارب أيضاً كانت منذ الميلاد . وذلك فيما أثاره هيرودس الملك من حروب ضد هذا المولود ، أدت إلى قتل كل أطفال بيت لحم وأدت أيضاً إلى النزول إلى مصر ، وما حدث هناك من ضيقات كلما كانت تسقط الأصنام أمام هذا المولود (أش ١٩ : ١) .



ثانياً : التجارب شملت كل حياة المسيح ، وكانت لها فوائد

وفي ذلك يقول الكتاب عنه " مجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية " يرثى لضعفاتنا " (عب ٤ : ١٥) . وأيضاً " في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين " (عب ٢ : ١٨)

وتجربة المسيح لا تدل على ضعف وإنما تدل على قوته : فهي تدل على قوته ، من حيث أنه انتصر على الشيطان في كل تجاربه . وأيضاً لأنه لولا قوته ، ما كان يحاربه الشيطان هكذا



وهنا نضع قاعدة هامة وهي :

الشيطان شغوف بمحاربة الأقوياء

فهو يحارب أيوب لأنه قوى . هذا الذي قال له الرب عنه : " هل جعلت قلبك على عبيد أيوب ؟ لأنه ليس مثله في الأرض . رجل كامل ، ومستقيم ، يتقى الله ويحيد عن الشر " (أي ١ : ٨) . وكما أن أيوب لم يمنع الشيطان من محاربته ، بل قلق إلى ذلك لأكثر . وانتصار أيوب في التجربة الأولى ، لم يمنع الشيطان من الاستمرار في الحرب أيضاً

كذلك حارب إيليا ، وهو قوى . بعد أنتصار إيليا النبي العظيم على أنبياء البعل والسواري ، وتطهير الأرض منهم ، وبعد إنزاله المطر على الأرض . لم يمتنع الشيطان عن محاربته . بل حاربه بالخوف من الملكة إيزابل (مل ١٩ : ٢ ، ١٠) . وقاتل الشيطان سليمان احكم الناس . هذا الذي أخذ الحكمة كموهبة من الله نفسه (مل ٣ : ١٢) . ولم يكن هناك أحد حكيماً مثله ، لا من قبل ولا من بعد . سليمان الذي تراءى له الله مرتين : في جبعون (مل ٣ : ٥) وفي أورشليم (مل ٩ : ٢) . سليمان

هذا يجربه الشيطان تجربة مذهلة ، بعد زواجه بالأجنبيات لدرجة أنه فى زمان شيخوخته حدث " أن نسائه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب " (١ مل ١١ : ٤) .
وقاتل الشيطان فلاسفة وعلماء ، مثل أوريجانوس ، أعظم اللاهوتيين فى عصره . هذا الذى قال عن نفسه " أيها البرج العالى كيف سقطت ؟ " . واستطاع الشيطان أن يسقط فى البدعة والهرطقة : القس أريوس ، أشهر وعاظ الأسكندرية ، بل أسقط مقدونيوس ونسطور ، وكلاهما من بطارقة القسطنطينية ، وثيودوريت اللاهوتى الكبير معلم نسطور ، وأوطاخى أعظم رهبان القسطنطينية ، والأب الروحى لدير كبير . . . الشيطان لا يبالي ، ولا يوقر الكبار ، بل يحاربهم . وكما قيل فى الخطية أنها :

" طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء " (ام ٧ : ٢٦) .

وهكذا حارب الشيطان بطرس الرسول الذى كان أكثر التلاميذ حماساً ، واستطاع أن يجعله ينكر المسيح ثلاث مرات ، وهو يسب ويلعن ويقول " لا أعرف الرجل " (مت ٢٦ : ٧٤) . حتى استحق أن يقول له الرب " هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربكم كالحنطة . ولكنى طلبت لكى لا يفنى إيمانك " (لو ٢ : ٣١ : ٣٢) . وبنفس الأسلوب كان الشيطان مهتماً بمحاربة النساك والسواح والمتوحدين . أما الضعفاء ، فلا يحتاج الشيطان إلى محاربتهم : إن كانوا ساقطين من تلقاء أنفسهم .

هناك ثلاثة أنواع من الثمار :

نوع ساقط عند أسفل الشجرة ، لا يحتاج إلى جهد لإسقاطه . ونوع آخر يحتاج إلى من يهز الشجرة هزاً ليسقط ما عليها من ثمار ، ونوع ثالث يلزمه خبير يصعد إلى أعلى الشجرة لجمع ثمارها ، كما فى سباطات النخيل مثلاً . . . والشيطان لا يلزمه أن يبذل جهداً لإسقاط الثمار الساقطة عند أسفل الشجرة هؤلاء يقف ناظراً إليهم ولو من بعيد ، فرحاً يسقوطهم ، موفراً جهده إلى من يلزمه الصعود إليهم ، أو إلى هزهم هزاً . . .

✠ ✠ ✠

ثالثاً : التجربة ليس معناها السقوط .

الشيطان يجرب الكل ، ولكنه لا يستطيع أن يسقط الكل . . وهو فى التجربة مجرد مقترح ، يقدم أفكاراً ، ولا يملك أن يرغم أحداً على طاعته . كل شخص له حرية إرادته ، يقبل منه أو لا يقبل . . وكثيرون قد رفضوه وهزموه . . إنه قد جرب السيد المسيح ولكن السيد رفضه ولم يقبل منه . رأى المسيح قوياً ، فتقدم لمحاربته كعاداته . . ولكن المسيح هزمه . . أرونا كيف يكون الانتصار فى حروب الشياطين . على أننا نلاحظ ملاحظة رابعة فى التجربة المسيح على الجبل ، وهى :

✠ ✠ ✠

حسد الشياطين

رابعاً : التجربة هنا مصدرها حسد الشيطان :

طبع الشيطان هو هذا : أنه يكره كل من هو بار ، وكل من هو ناجح فى حياته ، وكل من نال عظمة وعلواً من الله والناس .

وكان المجد الذى ناله السيد المسيح فى العمد ، مجداً لم يستطيع الشيطان أن يحتمله :
هوذا السموات قد انفتحت ، وروح الله نزل عليه بهيئة حمامة . وصوت من السماء يقول : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت (مت ٣ : ١٦ ، ١٧)
فهل يمكن للشيطان أن يسكب على ابن حبيب يسر به الله . . دون أن يتدخل ليرى ما نوع هذه النبوة !
ويحاول أن يهز هذا السرور بها . .

كذلك أثارت حسد الشيطان ، العبارات التي فاه بها القديس يوحنا المعمدان

من هذا الذى يقول له المعمدان " أنا محتاج أن أعتد منك " (مت ٣ : ١٤) أهو حقاً أعظم من يوحنا المعمدان الذى " خرجت إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن ، واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم " (مت ٣ : ٥ ، ٦) ومن هو هذا الذى قال عنه المعمدان : يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أنا أهلاً أن أحمل حذاءه . . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار " (مت ٣ : ١١) . بل يقول عنه " فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه . هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه " (يو ١ : ٢٦ ، ٢٧) كل هذا أثار حسد الشيطان ، من هذا الذى هو أعظم من المعمدان . وإن كان قد قال عنه لليهود " فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه " فلا بد أن أتقدم أنا لكى أعرفه : من هو ؟ وماذا قد جاء ليفعل ؟

وهنا رأى الشيطان فى تجربته للمسيح معركة مثيرة .

فهو يحارب هنا شخصاً غير عادى ، شهدت له السماء ، وشهد له المعمدان . بوهو شخص لم ير الشيطان فيه أية نقطة ضعف على الإطلاق طوال السنوات الماضية . حياته كلها قداسة مطلقة فى كل مراحل السن . وهذه القداسة تزعج الشيطان وتثيره ، فيريد أن يحاربها . . .

إن حربه مع هذا القوى ، لاشك لها لذتها ! حرب تنفذه من الروتين الذى أسقط به كثيرين . .
أولئك الذين قال عنهم الكتاب " الكل قد زاغوا معاً وفسدوا " ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد " (مر ١٤ : ٣) وكان الشيطان يقول : فلنجرب إذن مع هذا الذى لا يستطيع أن أبكته على خطية . . . ضعفات البشر أصبحت كلها معروفة لى . . وكل حروبى أصبحت متكررة ومألوفة ومملة . . فلندخل إذن فى حرب مع هذا القوى ، نقدم به عرضاً جديداً . لنصعد إذن معه على الجبل ونختبره . . لقد مرات عليه ثلاثون سنة وهو ساكت ، وأنا ساكت . فإن بدأ يعمل ، سأعمل أنا أيضاً . .

خامساً : هناك عبارة أزعجت الشيطان جداً وكانت سبباً رئيسياً للتجربة :

وهى قول القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح " هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم " (يو ١ : ٢٩) . . أترأه إذن الذى قال عنه أشعياء النبى " كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد ألى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا " (أش ٥٣ : ٦) ؟ أهو إذن الفادى المنتظر ؟ ثم ما معنى قول المعمدان عنه من قبل " يأتى بعدى رجل صار قدامى ، لأنه كان قبلى " (يو ١ : ٣٠) . ماذا يقصد بقوله " كان قبلى " ؟ أكان له وجود قبل مولده ؟ وهل يرتبط هذا بعبارة " ابنى الحبيب الذى به سررت هل هذا إذن هو ابن الله وقد جاء ليرفع خطية العالم كله . وهنا انزعج الشيطان ، لأن معنى هذا هو ضياع تعب الذى تعب فيه منذ البدء . وكأنى به يقول : هذا أمر لا يمكن السكوت عليه . لابد أن تأكد لكى أتصرف بما يلزم . يبدو أن وقت الجد ابتداء ، ونحن داخلون على معركة لا مفر منها . ويبدو أن هذا عدو من نوع خاص ، لم أعود حربه من قبل !!

سادساً : لم تكن تجربة الشيطان تدور حول نقاط عارضة ، إنما كانت تشمل خط الحياة كله . .
إنه أراد - كما سنرى - أن يقدم مقترحات تغير الأهداف والوسائل كلها . . تغير المبادئ التى وضعها المسيح أمامه فى تنفيذ رسالته . . ولكن السيد المسيح كان راسخاً جداً فى القيم التى وضعها أمامه واستطاع أن يصد الشيطان ، وأن يطرده أخيراً . فما الذى كان يقصده الشيطان ؟ وكيف تصرف ؟ وكيف تصرف الرب معه ؟

الفرق في التجربة بين آدم والمسيح

- ١- آدم وهو أحد مخلوقات الله ، بدأ حياته بأن منحه الله صورته ومثاله منذ خلقه . . بينما السيد المسيح ، وهو ابن الله الوحيد ، وبهاء مجده ورسم جوهره (عب ١ : ٣) بدأ خدمته في رسالة تجسده بأن أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ووجد في الهيئة كإنسان " (في ٢ : ٧ ، ٨) .
- ٢- بدأ آدم حياته في جنة فيها كل أنواع الخيرات هي جنة عدن (تك ٢) . أما السيد المسيح فبدأ خدمته في برية قاحلة ، في قفر ، على الجبل . . كما كان ميلاده بقر .
- ٣- بدأت تجربة الشيطان للإنسان الأول بأن أغراه بالأكل . وهكذا فعل مع السيد المسيح . غير أن الإنسان الأول قبل إغراء الشيطان وأكل ، وهو غير جائع . أما السيد المسيح فرفض الأكل وهو في قمة الجوع . .
- ٤- الإنسان الأول أكل من شجرة محرمة ، وقد سمع عقوبة من الله بخصوص أكلها . أما السيد المسيح فرفض الأكل من خبز هو محلل للجميع .
- ٥- الإنسان الأول أطاع الشيطان في مشورته ، من أول تجربة . أما السيد المسيح فرفض كل مشورات الشيطان ، ثلاث مرات على الجبل ، ومرات عديدة فيما بعد (لو ٤ : ١٣) ، بالإضافة إلى تجارب أخرى خلال الأربعين يوماً (مر ١ : ١٣) .
- ٦- الإنسان الأول أطاع الشيطان في مشورته ، من أول تجربة . أما السيد المسيح فرفض كل مشورات الشيطان ، ثلاث مرات على الجبل ، ومرات عديدة فيما بعد (لو ٤ : ١٣) ، بالإضافة إلى تجارب أخرى خلال الأربعين يوماً (مر ١ : ١٣) .
- ٧- الإنسان الأول وقع في الكبرياء ، وحينما اقتنع أنه سيصير مثل الله (تك ٣ : ٥) . أما السيد- هو الله الظاهر في الجسد (١ تي ٣ : ١٦) . فقد أخلى ذاته . وسلك بإتضاع أمام يوحنا المعمدان ، حينما تقدم ليقبل معمودية التوبة ، وهو غير محتاج إلى توبة . كما أنه تواضع أيضاً إذ سمح للشيطان أن تجربة ، وأن يختار ميدان المعركة معه كما يشاء . .
- ٨- الإنسان الأول انتهى سلطانه ليس له . أما السيد المسيح فقد تنازل عن استخدام سلطانه الخاص ، ورفض أن يستخدم لاهوته من أجل راحة ناسوته ، ومن أجل نشر رسالته بالمعجزات . .
- ٩- الإنسان الأول - في تجربته . سقط في الخطية ، واستحق حكم الموت . أما السيد المسيح فاستطاع أن " يكمل كل بر " (مت ٣ : ١٥) . استطاع أيضاً أن يخلص الإنسان من الموت ومن الهلاك .
- ١٠- الإنسان سلك بطريقة جسدية ، فيها أكمل شهوة الجسد في الأكل . أما السيد المسيح ، فإنه سلك بطريقة روحية ، تتغذى بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤ : ٤) .
- ١١- الإنسان الأول جعل هدفه ذاته وكيف تزيد . فكانت النتيجة أنه فقد كل شيء . أما السيد المسيح ، فلم يهدف إلى علو الذات . بل سلك بإخلاء الذات . وهكذا أعاد للإنسان ما فقده .
- ١٢- الإنسان الأول ، بسقوط في التجربة ، أدخل إلى العالم الموت والفساد ، كما قال القديس بولس الرسول : " كأنا بإنسان واحد ، دخات الخطية إلى العلم ، وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس . . " (رو ٥ : ١٢)
- أما السيد المسيح فبانتصار في كل تجربة وبقدسية حياته البشرية التي بلا خطية ، وليست تحت حكم الموت ، استطاع أن يفدى البشرية كلها ، وينقذها من الموت ، ويهبها التبرير ، منقذاً أياها من الفساد

الفصل الثالث

تجربة الخير

إن الشيطان لا يمل من " الجولان فى الأرض والتمشى فيها " (أى ١ : ٧) (أى ٢ : ٢) .
إنه يجول فى الأرض كزارع يلقى البذار . فهو أيضاً يلقى الأفكار ، ويلقى الأخبار . ويفرح إن أتت
بثمار . ولإعاد إليها بعد حين فى إلحاح صامد لا يلين . . !

أمران أزعجا الشيطان

وفيما يجول فى الأرض ، أزعجه أمران :

أزعجه صوت الآب ، يقول وقت العماد عن يسوع الناصرى " هذا هو لإبنى الحبيب الذى به سررت " (مت ٣ : ١٧) . فأى ابن تراه هذا ؟! . . وأزعجه أيضاً أن يسوع هذا ، فى وحدة مع الآب على الجبل وهو صائم . . والشيطان بطبيعته يكره توجد الأبرار وصومهم ، ويضايقه ما ينالونه فى خلواتهم من روحانية ، وما يهبهم الله من نعمة . . لذلك قرر التدخل . وكأنه يقول للسيد المسيح :

لماذا تجلس وحدك على الجبل ؟ لقد جئت لكى أجلس معك . .

إن أردت أن تنشر الملكوت ، فإن فى جعبتى نصائح ومقترحات كثيرة لأقدمها لك . . هى من ثمار شجرة المعرفة ، التى قدمت ثمرة منها لحواء وآدم من قبل . . دعنا نتفاهم : أنت تريد أن تنتصر . وأنا أيضاً أريدك أن تنتصر ، على يدى !!

إن الشيطان يحب جداً عمل المرشد . . !

فإن لم يقبل البعض إرشاداته ، فعلى الأقل يدخل معهم فى حوار . وفى هذا الحوار يحاول أن يدخلهم فى ميدانه . نعم ما أحلى الحوار بالنسبة إلى الشيطان . . ! وحواره كله شباك . . فلما رأى السيد المسيح وحيداً مع الآب على الجبل ، قال فى نفسه : هلم بنا نشغله . نقطع تأملاته . ونحاول أن ننزله من مستوى الإلهيات والسماويات ، إلى الأرضيات ، أو إلى أى مستوى آخر ، ولو بدا من الظاهر روحياً !! المهم أنه لا يتفرغ للجلوس مع الآب نشغله بالخبز ، بالمناظر الروحية بكل ممالك الأرض ومجدها . . وكانت للشيطان خبرة سابقة مع آدم وحواء ، حينما شغلها بالشجرة الشهية للنظر وبالثمرة الجيدة للأكل ، وبالمعرفة : معرفة الخير والشر ، وبالمجد الذى يصيران فيه مثل الله . . !

سببان لجرائته

على أن الجراة التى بها تقدم الشيطان لمحاربة المسيح ، كلن لها سببان : أولهما إخلاء السيد لذاته .

ولم يكن إخلاؤه لذاته هو فقط حينما تجسد " وأخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان " (فى ٢ : ٧) . وإنما هذا الإخلاء كان سياسة عامة انتجها إلى وقت صعوده إلى السماء بهذا الإخلاء تقدم إلى معمودية التوبة ، وهو غير محتاج إلى معمودية ، ولا إلى توبة . بل بهذا الإخلاء سمح للكتبة والفريسيين أن يجادلوه وأن يتهموه . وسمح لرؤساء الكهنة أن يحاكموه . . وبهذا الإخلاء جربه الشيطان .

كذلك منح للشيطان مبدأ تكافؤ الفرص

منحة الفرصة أن يجربه كما يشاء ، وأيضاً أن يختار مكان التجربة ، سواء على جبل التجربة ، أو على جناح الهيكل ، أو على جبل عال . كل ذلك لكي لا يقول الشيطان : لو أننى منحت الفرصة لأجربة وهو يعرف قوته ، ولا يعرف فيه اية نقطة ضعف . ولكن الشيطان شغوف بتجربة الأقوياء

بنوة المسيح لله

المسألة التي كانت تحير الشيطان هي بنوة المسيح لله العبارة التي سمعها وقت العماد

(مت ٣ : ١٧) . والتي سمعها أيضاً وقت البشارة بميلاده .

وذلك حينما قال الملاك للعذراء " الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظلك . لذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله " (لو ١ : ٣٥) . ولكن بشرى الميلاد هذه ، غطى عليها أمران : أولهما : ميلاده في مزود بقر من أم فقيرة . والثاني هربه إلى مصر . وليس من المعقول من فكر الشيطان - أن ابن الله يكون فقيراً وأن يهرب !

أما الشهادة له بأنه ابن الله- في المعمودية- فيغطي عليه أنه جوعان على الجبل ، فهل يعقل أن يكون ابن الله جوعاناً؟! إنه أمر يثير التساؤل . وهنا ارتبك الشيطان . وأراد أن يتأكد : لو كان هو ابن الله فيجب بذل كل الجهد حتى لا يتم الفداء على يديه . ولو كان ابن الله ، فكيف يجوع : ولماذا لا يبعد الجوع عن نفسه؟

إذن فليتقدم ويسأل لعله يفهم ! ولا مانع من أن يقدم أفكاره ويرى ماذا تكون النتيجة . ويحاول أن يختبر هذا الذي أمامه ، ليرى ما هو عنصره ، وهكذا كانت التجربة الأولى وهي تجربة الجبز . يقول الإنجيل عن المسيح أنه جاع أخيراً (لو ٤ : ٣) " جاع أخيراً ، فتقدم إليه المجرب " (مت ٤ : ٣ ، ٢)

لاشك أنه كان جوعاً من نوع قاس غير عادى .

طبيعى أن فترة الأربعين يوماً ، كانت كلها جوعاً . ولكن الجوع في نهايتها ، كان قد وصل إلى قمته ، وصار جوعاً لا يحتمل . وهذا الجوع يدل على أن ناسوته كان مثلنا قابلاً للجوع . كما يدل أيضاً على أن لاهوته لم يمنع الجوع عن ناسوته . ذلك لأن السيد المسيح كان قد اتخذ مبدأ ثبت عليه ، وهوانه :

قرر أن لا يستخدم لاهوته لأجل راحة ناسوته .

فلاهوته لا يمنع عن ناسوته التعب ولا الألم ، ولا الجوع ولا العطش . وإلا فإن التجسد يكون صورياً أو شكلياً ، حاشا . لذلك فهو على الصليب أيضاً قال " أنا عطشان (يو ١٩ : ٢٨) . وهنا على الجبل قيل إنه جاع . نلاحظ إنه في صوم القديس بطرس الرسول قيل عنه إنه " جاع كثيراً واشتهى أن يأكل " (أع ١٠ : ١٠) . أما بالنسبة إلى السيد المسيح ، فلم يذكر أنه اشتهى أن يأكل وهنا تقدم له الشيطان وقال له : إن كنت ابن الله ، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً (مت ٤ : ٣)

" إن كنت . . عبارة تحمل الشك

إما أنه - أى الشيطان - في شك من هذه البنوة ، وهذا هو المعنى الأكثر احتمالاً ، وإما أنه يريد أن يقدم هذا الشك لسماعه . أو هو يقدم الشك لهذا الصائم ، لكي يعالج شكاً له هو - أى الشيطان - في قلبه : أين محبة الأب ، حتى يترك الابن في جوع ، على الجبل وحده ، وأين سلطان الابن ؟ ألا يستطيع أن يحول الحجارة إلى خبز ويأكل ؟ إن الشك والتشكيك هما من طبائع الشيطان .

وضع هذا بالمثل قديماً أمام آدم وحواء . لو كان الله يحبكما ، فلماذا يمنعكما عن المعرفة؟! " هل حقاً قال لكما الله . (تك ٣ : ١) ومن جهة الموت ، " لن تموتا " . كله أسلوب تشكيك . إن الشك عكس الإيمان . والشيطان ضد الإيمان .

وهنا يسأل عن بنوة المسيح لله . ويقينا إنه لا يقصد البنوة العامة التي لجميع المؤمنين . بل

البنوة التي تستطيع أن تحول الحجارة إلى خبز .

أى البنوة التي لها القدورة على الخلق ، وليست البنوة التي نقول بها جميعاً " أبانا الذى فى السموات " ولا هى البنوة التي قال عنها الوحي الإلهي عما قبل الطوفان " رأى اولاد الله بنات الناس أنهن حسنات " (تك ٦ : ٢) . ولا هى البنوة التي قال فيها القديس يوحنا الحبيب فيما بعد عن المسيح " وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون باسمه " (يو ١ : ١٢) . وأيضاً " انظروا أية محبة أعطانا الآب : أن ندعى أولاد الله " (ايو ٣ : ١) .

إنما هى البنوة القادرة على كل شئ ، التي نستطيع أن تصنع المعجزات بمجرد أن تأمر .

وهكذا قال للمسيح " قل أن تصير الحجارة خبزاً " .

لم يقل له : إن كنت ابن الله ، يمكنك أن تصلى إلى أبيك السماوى ، فيحول لك الحجارة إلى جبز . وإنما قال له : قل أن تصير الحجارة خبزاً .

إذن فهو يسأل عن طبيعة المسيح ما هى ؟

ونفس السؤال قدمه إلى المسيح فيما بعد ، على لسان البعض " إن كنت ابن الله ، انزل من على الصليب " (مت ٢٦ : ٤٠) . إن البنوة والصليب معاً ، هما اللذان يزعجان الشيطان فى اجتماعهما ، لأنهما يحطمان دولته وكل تعبته . سأل أحدهما فى بداية استعداد المسيح لخدمته على الأرض . يسأل الآخر للمسيح ، وهو فى طريقه إلى عبارة " قد أكمل " (يو ١٩ : ٣٠) هنا على جبل التجربة ، قال للسيد المسيح- وهو صائم وجائع : إن كنت ابن الله ، قل أن تصير الحجارة خبزاً " .

وكان المسيح قادراً على ذلك ، ولكنه لم يفعل .

تجربة الخبز (ب)

قال الشيطان للسيد المسيح " إن كنت ابن الله ، قل أن تصير الحجارة خبزاً " (مت ٤ : ٣) .

وهنا قدم الشيطان مفهوماً للبنوة التي ترضى ذاتها باستخدام حقوقها وسلطتها .

حقوق البنوة

إنه لا يفهم البنوة التي تخلى ذاتها ، وتأخذ شكل العبد ، وتطيع حتى الموت ، موت الصليب (فى ٢ : ٧ ، ٨) . لا يفهم البنوة التي تبذل ، بل التي تأخذ ، ولا يقبل أن تجوع . تماماً مثل تفكير الإبن الكبير ، فى خطيئته إذ قال لأبيه " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها . . وجدى لم تعطينى قط ، لأفرح مع أصدقائى " (لو ١٥ : ٢٩) .

ولكن السيد المسيح لم يطلب لنفسه حقاً كابن ! .

وهنا أعجب من الذين يقولون لكل مؤمن مبتدئ يجب أن تطالب بحقوقك كابن ووريث وشريك مع المسيح !! من نحن الذين نطالب لأنفسنا بحقوق ، بينما الابن الوحيد للآب السماوى المساوى له فى الجوهر ، رفض أن يستخدم حقوقه الطبيعية كابن ، أو رفض استخدام طبيعته كابن ، أو أقنومه كابن حقاً ، كان جاداً فى إخلائه لذاته .

كان بإمكانه أن يحول الحجارة إلى خبز ، بل أن يقدم الخبز ، حتى بدون حجارة ، كما فى معجزة اشباع الجموع .

استطاع أن يخلق الخبز ، الذى أشبع خمسة آلاف والذى امتلأت بما فضل منه إثنتا عشرة قفة (مر ٦ : ٣٥ : ٤٤) . فعل نفس الوضع فى معجزة إشباع الجموع الأخرى من السبع خبزات (مر ٨ : ٢ : ٩)

فعل ذلك من أجل غيره ، وليس من أجل نفسه .

وكان الدافع هو الإشقاق . إذ قال لتلاميذه فى ذلك " إنى أشفق على الجمع ، لأن لهم الآن ثلاثة أيام يمكثون معى وليس لهم ما يأكلون . وإن صرفتهم إلى بيوتهم صائمين ، يخورون فى الطريق " (مر ٨ : ٢ ، ٣) .

إذن بإمكانه أن يوجد الخبز ، ولو يخلقه خلقاً . ولكنه لم يفعل . فلماذا ؟

أولاً : لأنه كما قلنا ، كان قد وضع مبدأ لنفسه أنه لا يستخدم لاهوته لأجل راحة ناسوته .

ثانياً : لأنه لا يليق به أن يسمع لمشورة الشيطان ، كما فعلت حواء وآدم من قبل . وهذا يذكرنا بقصة قيلت عن القديس أنطونيوس الكبير : إن الشيطان أيقظة ذات ليلة من النوم لكى يصلى . ولكن القديس رفض مشورة الشيطان ، حتى لو اتخذت اسلوباً روحياً . وقال له " إنى أصلى متى أريد . ولكن منك أنت لا أسمع . . . "

ثالثاً : إن الشيطان لا يمكن أن تكون له نية سليمة فى أية مشورة يقدمها . . . !

فهو لم يقل ذلك إشفاقاً على السيد من الجوع . وإنما كان يريد أولاً أن يعرف طبيعته هل هو ابن الله حقاً؟ لا ليؤمن به ، بل ليحارب الإيمان به ، ويحارب رسالته فى الفداء . . . كما كان يريد أن يتدرج فى التجربة . وكيف ؟

استخدام الخبز لنشر رسالته

يمكن بتحويل الحجارة إلى خبز ، أن يتبعه الناس كمصلح اجتماعى يشبعهم ، وليس كمخلص

يفديهم .

وكأنه يقول للسيد : إنك لا تريد أن تستخدم الخبز لأجل نفسك ، لتشبع من جوع . حسناً تفعل . ولكن ما أسهل أن تستخدم الخبز لأجل نشر ملكوت الله . وهذا حل سهل . فقل أن تصير الحجارة خبزاً .
هوذا العالم كله يحتاج الجبز . العلم كله يجرى وراء - لقمة العيش- . فلو حولت الحجارة إلى الخبز ، سوف تصير مصلحاً اجتماعياً ، تكفى احتياجات الناس المادية . وإذ تشبع الناس ، يلقون حولك ، وبهذا يمكنك أن تؤدى رسالتك . . . وتسهل مهمتك . ولكن السيد المسيح رفض هذا الطريق السهل . . .
إنه جاء يدعو إلى مملكة روحية ، طريقها أيضاً طريق روحى ، ليس هو الطريق الخبز المادى وإنما كل كلمة تخرج من فم الله . . . إن السيد المسيح لم يأت لكى تكون بطون الناس ملأنة ، إنما لكى تكون قلوبهم نقية ، وأرواحهم ملتصقة بالله .

إنه يعرف حاجة الناس إلى الخبز ويعطيهم إياه ، لكنه لا يجعله هدفاً لهم . بل يقول لهم : اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره . ثم هذه كلها تزدادونها " (مت ٦ : ٣٣) . لهذا قال للناس " لا تهتموا بما تأكلون وبما تشربون . الحياة أفضل من الطعام " (مت ٦ : ٢٥) . يا قليلي الإيمان . أبوكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها " (مت ٦ : ٣٢) . وقال لهم أيضاً " اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي الذي للحياة الأبدية " (يو ٦ : ٢٧) السيد المسيح لا يريد أن يتبعه الناس من أجل الخبز ، إنما حباً للملكوت . وكانت مشورة الشيطان هي التركيز على الخبز !

وإن أحبوا الملكوت ، وجاءوا من أجله وعطشوا ، حينئذ سيمنحهم كل احتياجهم المادي ، دون أن يطلبوا ، كذلك فإن الخبز ، الذي هو رمز للمادة لا يجوز أن يكون هدفاً لحياتهم . هنا نتذكر أمثلة خاطئة . إن الشيطان لا يقترح أبداً للخير . ولا يجوز السماح له ، مهما بدا اقتراحه خيراً . ولكنه هنا ، كان يقصد ما هو أخطر . فماذا يقصد ؟

لاهوته لصالح ناسوته

إن استخدام السيد المسيح السيد المسيح لاهوته من أجل التخلص من ألم الجوع ، فالتدرج الذي يريده الشيطان هو أن يتخلص المسيح بلاهوته من كل ألم ، بما في ذلك آلام الصلب . ويتحول التجسد والفداء إلى شكليات .

أما السيد المسيح فاستطاع أن يبيت في الموضوع من أوله . وام يستخدم لاهوته مطلقاً لأجل راحة ناسوته . لا على جبل التجربة ، ولا على الصليب ، ولا كل فترة تجسده على الأرض . وهكذا جاع وعطش وتعب ونام . وتصيب عرقه كقطرات دم (لو ٢٢ : ٤٤) . إذن لم تكن التجربة هي مجرد استخدام لاهوته لمنع الجوع ، إنما لمنع الفداء كلية . لأنه لو لم يتألم لأجلنا ، ما كان فداء . بل لتحول الأمر إلى خدعة كبرى

لكن السيد المسيح كما جاع على جبل التجربة ، كذلك فإنه على الصليب قال أنا عطشان (يو ١٩ : ٢٨) .

كان ناسوته يدفع الثمن كله . وكانت نار العدل الإلهي تشتغل في المحرقة ، حتى تحولها إلى رماد (لا ١٠ : ١٠) . من أجل هذا قال : " إلهي إلهي ، لماذا تركتني " (مت ٢٧ : ٤٦) . أي أن لاهوته تركه للألم ، لم يتدخل لمنع الألم عنه ، ليتم الفداء . إن السيد المسيح يمكن أن يستخدم لاهوته من أجل راحة الناس ، وليس من أجل راحته هو . وهكذا كان يشفي المرضى البرص ، ويفتح أعين العميان ، ويخرج الشياطين من المصروعين . يجول يصنع خيراً . ولكن لا يستخدم المعجزة ليشتبع حسده .

✠ ✠ ✠

لقد رفض السيد المسيح استخدام معجزة الخبز لأجل نفسه . ورفض أيضاً استخدام الجبز للكراسة ونشر الإيمان . فهذا هبوط بمستوى وسائل الإيمان . فالإيمان يتعلق بالروح والقلب والفكر . وليست وسيلته الجسد والطعام . أنه يمكن أن يقدم الخبز بدافع الحب والإشفاق عليهم كجياع . ولكن ليس ثمناً للإيمان

كان الشيطان يهدف في استخدام الخبز لنشر الإيمان ، إنما يغري بسهولة الخدمة .

أنه فيما يتحدث عن الخبز ، إنما يريد أن يلبس المادة ثوباً روحياً من حيث أهميتها في جذب الناس ونشر الملكوت . فتصبح الخدمة سهلة وأكثر قبولاً وكأنه يقول " لو ملأتم الدنيا خبزاً ، لأحبكم الناس وساروا وراءكم ، فينتشر الملكوت ، ويقبل الناس الإيمان . ولكن هذا الأمر كانت له مساوئه بلاشك . فإن الذين يقبلون إلى الإيمان عن طريق الخبز ، لاشك أنهم ستركبون الإيمان إذا انقطع الخبز عنهم

كذلك فإن السيد رفض فكرة سهولة الخدمة . .

فالذى يتعب في نشر الملكوت ، إنما يدل على محبته للملكوت وبذله من أجله ، وسوف يكافئه الرب على بذله وجهده " وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبته " (اكو ٣ : ٨) . ولا بد أن يحمل كل إنسان صليبه في طريق الملكوت (مت ١٠ : ٣٨) (مت ١٦ : ٢٤) .

✠ ✠ ✠

أما من جهة رد المسيح على تجربة الخبز ، فهي أنه قال للشيطان :

مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤ : ٤) .

إنه لم يرد على الشيطان رداً مباشراً . لم يرد على عبارة " لو كنت ابن الله " . لم يقل للشيطان : ما هدفك من السؤال ؟ لماذا تسأل ؟ هل أنت في شك ؟ ولماذا تحتاج إلى معجزة بينما أنت قد رأيت المعجزة وقت العماد وسمعت شهادة الأب وشهادة يوحنا ؟ وبالمثل ، لم يرد أيضاً على اقتراح تحويل الحجارة إلى خبز .

إن الشيطان يريد أن ينقله بالحديث عن الخبز ، إلى ميدانه المادى . فتجاهل المسيح هذا ،

ونقله إلى الميدان الروحى .

نقله إلى الطعام الروحى الذى تحيا به الأرواح ، فقال له " مكتوب ليس بالخبز يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله " .

وإن الطبيعة البشرية ليست مجرد جسد ، بل هي جسد ، وأيضاً روح . فإن كان الجسد يحتاج إلى الخبز ، فالروح تحتاج في فدائها إلى كل كلمة تخرج من فم الله . . وهنا أيضاً وضع الرب أمامنا غذاء للروح هو الكتاب المقدس . أما بالنسبة إلى الشيطان ، فكأن الرب يوبخه بطريقة هادئة وهي : لماذا تركز على الجسد والخبز ، وتنسى الروح ، بينما أنت روح ؟

ثم هل يليق بنا أن نتكلم عن الخبز وعن طعام الجسد ، بعد أربعين يوماً من الصوم

وإنفراد مع الآب ؟

أين هي ثمرة الصوم إذن ؟ أتريده صوماً بلا ثمر ؟ أم تريد أن تعكر روحياته بالحديث عن الخبز فلنحول الحديث إذن إلى الروحيات ، لأن الحديث عن الخبز والجسد لا مجال له معي .

موضوع الخبز والمادة وزالجسد ، سد المسيح أبوابه أمام الشيطان .

ولم يفتح له مجالاً للحديث فيه .

نسد الأبواب أمام الشيطان في كل موضوع غير روحى يقترحه . إننا لسنا ملزمين أن نتناقش معه في أى موضوع يعرضه . بل ينبغي أن نسكتة . فلا يستمر أو يتمادى في موضوع مادى ، بأن نحول كلامه أو أفكاره إلى موضوع روحى .

✠ ✠ ✠

أما الآية التى قالها السيد المسيح ، فقد اقتبسها من سفر التثنية (تث ٨ : ٣) . (وتحمل دروساً

روحية لنا :

- ١- نتذكر الآباء والأمهات الذين يكون كل اهتمامهم لطعام أبنائهم وتربية أجسادهم ، دون أن يهتموا مطلقاً بأرواحهم . كما لو كانوا قد أنجبوا أجساداً فقط بدون أرواح ، شاعرين أن واجبهم الأساسى هو إطعام هؤلاء الأولاد . . وفى سبيل ذلك قد يمنعونهم عن الصوم خوفاً على صحتهم الجسدية . .
- ٢- مثال آخر : مكاتب الخدمة الإجتماعية فى الكنائس ، التى تبذل كل جهدها فى طعام الفقراء ، دون أى إهتمام بأرواحهم . . .
- ٣- مثال ثالث : وهو أنه بسبب الإهتمام بالخبز يكسرون وصايا الله . قد لا يدفعون العشور ولا البكور ولا كل حقوق الله فى أموالهم ، لأنهم محتاجون إلى هذه النقود من أجل لقمة العيش . وقد يشغلون أنفسهم مشغولية تأخذ كل الوقت من أجل الحصول على أجور إضافية لازمة للقمة العيش . . وهكذا يمنعون أنفسهم عن الكنيسة والإجتماعات والقراءات والتأمل والخلوة وكل الوسائل الروحية فى سبيل الحصول على المال . كل هؤلاء يقول لهم السيد المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

✠ ✠ ✠✠

وهنا يضع أمامنا السيد المسيح أسلوباً روحياً فى محاربة الشيطان وهو :

الرد على المحاربة بآية :

جميل أن ترد على الشيطان بآيات من الكتاب ، لأن " كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف

ذى حدين " (عب ٤ : ١٢)

لذلك إن كنت محارباً بالغضب ، اجمع كل الآيات التى هى ضد الغضب وضعها فى ذهنك ، واحفظها ، ورددها كلما حوربت . . وإن كنت محارباً بأخطاء اللسان افعل هكذا أيضاً . وكذلك فى كل حروبك الروحية . المسيح رد على الشيطان بآية فأسكته . لذلك انتقل الشيطان إلى تجربة أخرى محاولاً أن يستخدم الآيات أيضاً .

